العددِ 21A ايار 2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
NO.21A May 2026 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

نقد الليبرالية الجديدة عند ديفيد هارفي: قراءة معاصرة في الفلسفة الإنسانوية

م.د. حسين ذنون سليم
كلية الآداب – قسم الفلسفة

الملخص

تعد الليبرالية الجديدة إحدى أهم التحولات في النظام العالمي منذ بدايات القرن الحادي والعشرين، إذ لم تكتفِ بإعادة تشكيل الاقتصاد العالمي، بل أعادة تعريف الانسان داخل منظومة تحكمها قوانين السوق، ففي ظاهرها تقدّم نفسها فلسفة للحرية الفردية، بيد أنّ ديفيد هارفي يوضح في نقده بأنها تخفي مشروعاً لإعادة انتاج الهيمنة حيث تتحول الحرية الى امتيازا يخدم النخب، فبدلاً من تحرير الإنسان من القيود جعلته خاضع لمنطق السوق.

يركز هارفي في نقدهِ لليبرالية الجديدة بأنها شيئت الإنسان وعمقت التفاوتات الاجتماعية، مما جعل نقده ذا أهمية ملحة في الوقت الراهن، فمع اتساع الفوارق الطبقية وهشاشة الروابط الاجتماعية والسياسية يصبح هذا النقد أداة لفهم الأزمات التي أصابت العالم في الفترة المعاصرة، ومن ثم يفتح أفقاً لإعادة الاعتبار للإنسان بوصفه قيمة في ذاته لا مجرد شيء داخل النظام العالمي الجديد.

الكلمات المفتاحية: ديفيد هارفي، الليبرالية الجديدة، التشييء، تراكم رأس المال، الفلسفة الإنسانوية

David Harvey's Critique of Neoliberalism: A Contemporary Reading in Human Philosophy

Lecturer Dr. Hussein Dhunoun Salim
College of Arts – Department of Philosophy

Abstract

Neoliberalism is one of the most significant transformations in the global order since the beginning of the 21st century. It has not only reshaped the global economy but has also redefined humanity within a system governed by market laws. While it presents itself as a philosophy of individual freedom, David Harvey argues in his critique that it conceals a project to reproduce hegemony, where freedom becomes a privilege serving the elite. Instead of liberating individuals from constraints, it has subjected them to the logic of the market.

Harvey's critique of neoliberalism focuses on its role in the subjugation of humanity and the deepening of social inequalities. This makes his critique particularly relevant today. With widening class disparities and the fragility of social and political bonds, this critique becomes a tool for understanding the crises that have afflicted the world in the modern era. It then opens a horizon for restoring the value of humanity as an intrinsic asset, recognizing that nothing else matters within the new world order.

Keywords: David Harvey, Neoliberalism, Reification, Capital accumulation, Humanist philosophy

المقدمة

شكلت الليبرالية الجديدة واحدة من القضايا التي أثارت الفلاسفة السياسة والمعاصرين، فقد أولى ديفيد هارفي اهتماما خاصاً في نقدها وتحليلها، ومثلت محور نقاش حول دور الدولة والسوق في تنظيم حياة الإنسان لكن الواقع الفعلي أظهر فجوة كبيرة بين مبادئها المعلنة ونتائجها الملموسة.

إذ يركز هذا البحث على نقد الليبرالية الجديدة من خلال كشف تناقضاتها وتحليل أثارها على المجتمع والقيم والانسانية وفتح المجال للتفكير في بديل يعيد الاعتبار للإنسانية والانسان ومن هنا انطلق البحث وفق الخطة التي تم اعتمادها في مبحثين: المبحث الاول بعنوان الليبرالية الجديدة بين النظرية والممارسة في مطلبين: المطلب الاول: تعريف الليبرالية الجديدة ونقد خصائصها . اما المطلب الثاني: الليبرالية الجديدة بين النظرية والممارسة. وجاء المبحث

الثاني بعنوان الفلسفة الإنسانوية في نقد الليبرالية الجديدة في مطلبين. المطلب الأول الليبرالية الجديدة وتشييئ الإنسان، اما المطلب الثاني المشروع الإنسانوي التحرري من الليبرالية الجديدة.

هدف البحث:

يهدف البحث الى استقصاء الليبرالية الجديدة كمشروع سياسي يعيد تشكيل الانسان وعلاقته بالعالم.

فرضية البحث:

تجسدت فرضية البحث ان الليبرالية الجديدة وحسب اطروحة هارفي تشييء الانسان وتعرضه كسلعة وخلقت فجوة في توزيع العدالة الاجتماعية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في فهم انعكاسات الليبرالية الجديدة على الانسان والمجتمع واستلهام بدائل تعيد الاعتبار للقيم الانسانية.

منهجية البحث:

بالنظر إلى طبيعة الموضوع يعتمد البحث على المنهج التحليلي الفلسفي في دراسة طروحات هارفي التي تخص نقده لليبرالية الجديدة.

التمهيد

الأصول الفكرية لديفيد هارفي: الحياة والانتماء والمنهج

أولاً: حياته ومؤلفاته

ولد هارفي في سنة ١٩٣٥م في جيلينغهام في مقاطعة كينت في بريطانيا من والدين ينتمون للطبقة العاملة يسعيان لتأمين لقمة للعيش بلغ سن الرشد خلال الحرب العالمية الثانية ورث منذ صغره انضباط والده الذاتي ، إذ التزمت والدته بتعليمه التي كانت ذا ميول اشتراكية ، تلقى هارفي تعليمه في مدارس حكومية وبعد تخرجه عرض عليه مقعد في جامعة كامبريدج في منتصف خمسينيات القرن العشرين لدراسة الجغرافية وهو تخصص استمتع به وقد أتيحت له فرصة الالتحاق بجامعة مرموقة في فترة كانت الحكومة البريطانية تشجع الحراك الاجتماعي من خلال منح ابناء الطبقة العاملة فرصاً أكبر للتقدم فالتحق في جامعة اكسفورد وكامبريدج وبعد تخرجه اصبح محاضراً في جامعة بريستول . وبعد موجة الاضطرابات التي اصابت بريطانيا، عام ١٩٦٨م غادر بريطانيا وتوجه إلى الولايات المتحدة الامريكية هو وزوجته ذات الاصول الامريكية. وفى هذه الفترة تغير ميوله من دراسة الجغرافية إلى السياسة. وعمل في قسم الهندسة البيئية في جامعه هوبكنز المرموقة في الولايات المتحدة الامريكية (Tree& Noel& Greig,2023,p 6.).

أهم مؤلفاته:

1- The Limity to Capital. 1982 (غير مترجم) حدود رأس المال .
2- The Condition of Postmodernity. 1989. حالة ما بعد الحداثة: بحث في أصول التغيير الإجتماعي (مترجم)
3- The New Imperialism. 2003.(غير مترجم) الامبريالية الجديدة
4- A Brief History of Neoliberalism.2005. (مترجم) الليبرالية الجديدة موجز تاريخي
5- Spaces of Global capitalism.2006. (غير مترجم) فضاءات الرأسمالية العالمية
6- Cosmopolitanism and Geographies of Freedom. 2009.(غير مترجم) العالمية وجغرافية الحرية
7- Social Justice and City. Revised Edition.2009. (غير مترجم) العدالة الاجتماعيـــــــــة والمدنيـــــــــــة
8- A companion To Mark's Capital.2010. (غير مترجم) دليل رأس المال ماركس
9- Rebel cities from the right to the urban revolution.2013. مدن متمردة من الحق في المدنية الى ثورة الحضر. (غير مترجم)

ثانياً: انتماءه الفكري

ينتمي هارفي فكرياً إلى الفلسفة الماركسية الجديدة التي انطلقت في عملها من إعادة قراءة طروحات كارل ماركس ودمجها في الفلسفة النقدية. لكي تكشف عن الأزمات التي خلفتها الرأسمالية والليبرالية الجديدة على الواقع الإنساني وهذا ما أكده عندما رأى إن كتاب **رأس المال** لكارل ماركس ليس كتاباً منتهي الصلاحية بل هو كتاب يجب

توظيفه لتحليل ونقد الرأسمالية المعاصرة لما أنتجته من أزمات مالية أثرت على المجتمعات (HARVEY,2013,P.5).

ويتضح هذا الانتماء أيضاً عندما كشف الممارسات الاقتصادية للرأسمالية من خلال طروحات ماركس وانجلز في بيانهما الشيوعي فحسب وجهة نظره إن البيان الشيوعي اشار وبشكل عابر إلى ان العامل فور تلقيه أجره نقداً تتلقفه منه قطاعات أخرى من البرجوازية وصاحب المتجر والمرابي وتحث الفكرة نفسها تعمل الرأسمالية المتقدمة التي تستغل الطبقة العاملة لتسحب المال وتدعم ثروتها الضخمة التي تشكلت داخل النظام المالي (هارفي،2017، ص39).

ثالثاً: منهجه الفكري

اعتمد هارفي في جل أطروحاته على المنهج المادي التاريخي الذي طرحه كارل ماركس في تفسيره للظواهر السياسية من خلال التاريخ وفق لبناء اقتصادي وسياسي وتحديداً هذا ما اتبعه في طروحاته المتعلقة بما بعد الحداثة، التي هي حسب وجهة نظره ليست مجموعة من الافكار بقدر ما هي حالة تاريخية تتطلب توضيحاً ولان البحث التاريخي يمكن التعلم منه الكثير. ففي جذور التاريخ هناك ظواهر شكلت مرحلة مقلقة في التطور الاقتصادي والسياسي والثقافي (هارفي،2005، ص15-16).

وتحت نفس المنهج يفسر علاقة الإنتاج وتوزيع الدخل لتحقيق العدالة الاجتماعية إذ يرى ان انهيار التمييز بين الانتاج وتوزيع الدخل يعني انهيار للعدالة الاجتماعية فالظلم في توزيع الدخل ليس خللا عارضاً بل هو انعكاس لبنية اقتصادية قائمة على استحواذ فئة على فائض الانتاج على حساب فئة أخرى(HARVEY,1988,P.15) .

المبحث الأول

الليبرالية الجديدة بين النظرية والممارسة

المطلب الاول: تعريف الليبرالية الجديدة ونقد خصائصها

تعد الليبرالية الجديدة ونقد خصائصها الفلسفية أحد أهم المواضيع التي أهتم بها هارفي لما انتجته من تحولات في كافة مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

فالليبرالية الجديدة بمعناها العام تعني : مفهوم يمثل نموذج اقتصادي ظهر بشكل بارز في ثمانينيات القرن العشرين كمرحلة متقدمة لليبرالية الكلاسيكية ومستندة لفلسفة السوق ذاتي التنظيم، وهي مرتبطة بثلاث مظاهر مترابطة وهي الايديولوجيا وتعمل كخرائط مفاهيمية توجه الناس عبر تعقيد عوالمهم وتنظيم أفكارهم، والحوكمة تعمل كمقدمات منطقية في دعم الفكر التنافسي، وإشاعة المصلحة الذاتية واللامركزية وتقويض سلطة الدولة، وإلغاء القيود على الاقتصاد بمعنى تحري التجارة والصناعة، والخصخصة المؤسسات المملوكة للدولة، إذ تكون ذات صلة بتخفيض الضرائب أو زيادتها(Manfred& Ravi K,2010,P.11-14).

أما عند هارفي فهي نظرية سياسية واقتصادية إدعت إن الحرية الفردية ومنطق السوق المفتوح هو- حسب زعمها- التوجيه الصحيح للوضع الإنساني. فهي بُنيت على مبادئ مؤسساتية تضع حماية الملكية الخاصة وحرية التجارة في موقع الاولوية، إذ تتحول هذه المبادئ إلى دعائم قانونية ملزمة للدولة والمجتمع، إذ أصبحت الدولة هنا الحارس لمنطق السوق عن طريق انشاء نظام قانوني ومالي وبناء الاجهزة الامنية والعسكرية والادارية والقضائية لصون حقوق الملكية الخاصة، وفي بعض الاحيان تستخدم الدولة القوة عند الضرورة لغرض حماية السوق. فالليبرالية الجديدة تسخر مؤسسات الدولة لإدامة نظامها، ومن ثم لا تحقق العدالة الاجتماعية (هارفي،1429، ص13).

وفقاً لهذا التصور تكون الليبرالية الجديدة إضافة لكونها مشروعاً اقتصادياً هي مشروعاً سياسياً يستخدم الدولة لضمان حماية الملكية الفردية والهيمنة على السوق بالتالي تخدم مصالح القوة الاقتصادية التي تسعى للهيمنة، وبهذا يكون هارفي وقف بالضد من التصور الفلسفي الرئيس لليبرالية الجديدة الذي يؤكد بأنها تسعى لتحقيق الرفاه الإنساني عن طريق الحفاظ على حقوق الملكية الخاصة والتجارة الحرة(البستاني،2018، ص18-19).

وإن تدخل الدولة في تنظيم المجتمع جعل توجه الحرية صعباً ويحول دون تقدمها(Hayek f.,1999,P.90) ، وتحديداً هذا ما عارضه عندما تصور إن انسحاب الدولة من مناحي الحياة يؤدي بها إلى عدم قدرتها على تأويل مؤشرات السوق والاسعار أو حتى التنبؤ بها، ومن ثم تصبح جماعة الضغط والمصالح القوية وخاصة في الدول الديمقراطية قادرة على استغلال الدولة لمنافعها الخاصة (هارفي،1429، ص13).

على الرغم ان هذه التصورات آنفة الذكر قد تطابقت مع الفيلسوف نعوم تشومسكي الذي أكد بأن الليبرالية الجديدة مجموعة من المبادئ الاقتصادية ذات توجه يخدم السوق فقط جرى تصميمها في الولايات المتحدة للسيطرة على المجتمعات الأكثر ضعفاً (تشومسكي،2000، ص25-26).

وفقاً لما سبق ينتقد هارفي الخصائص الفلسفية لليبرالية الجديدة والتي هي الخصخصة وتقليص دور الدولة وتحرير السوق من القيود(باتلر،2013،ص98-100) ، إذ يشير منذ سبعينيات القرن العشرين شهد التفكير السياسي والاقتصادي تحولاً واضحاً نحو الليبرالية الجديدة. فأصبحت الخصخصة وتحرير الاقتصاد من القيود والضوابط وانسحاب الدولة من عدة مجالات شائعاً على نطاق واسع في بلدان العالم كالسويد ونيوزيلندا وجنوب أفريقيا والصين المعاصرة، إذ أثرت هذه الخصائص على المجالات التربوية والتعليمية والجامعات ووسائل الاعلام والبنوك المركزية وصندوق النقد الدولي، إذ ان تأثيرها تغلغل على طرائق التفكير، فالليبرالية الجديدة في كل هذا التغلغل عملت على التدمير الخلّاق ليس فقط للأخر والقوة المؤسساتية بل ايضاً لتقسيمات العمل والعلاقات الاجتماعية وخدمات الرعاية وطرق الحياة والتكاثر والارتباط بالأرض والعادات الشعورية والوجدانية(هارفي،1429،ص14-15).

وعليه تكون الليبرالية الجديدة على حد قول أحد الباحثين، أدت إلى تشوهات في الاسعار وسوء تخطيط الموارد مثل الارض والمياه (السعدي،2023، ص47)، وبهذا يكون السجل الفعلي لليبرالية الجديدة وفق منظور هارفي لا يبدو أكثر من سجل هزيل وفاشل، فالوعود التي قطعتها على نفسها بشأن زيادة النمو والازدهار. كشفت البيانات عن تراجعها، فمعدلات النمو للاقتصاد العالمي في ستينيات القرن العشرين كانت حوالي 3.5 تراجعت في السبعينيات إلى 2.4. اما في الثمانينات فأصبحت 1.4 وفي التسعينيات 1.1 فهذه المعدلات تشير حتما إلى إن الليبرالية الجديدة فشلت في تحفيز النمو العالمي (هارفي،1429، ص252).

ومن هنا ينتهي هارفي ان الليبرالية الجديدة ليست مجرد سياسة اقتصادية هدفها تحسين الواقع، بل هي مشروعاً سياسياً طوباوياً يهدف إلى تحقيق مخطط لإعادة الرأسمالية العالمية، وتوطين الشروط الملائمة لتراكم رأس المال واستعادة سلطة النخب الاقتصادية وأنها ام تكن على درجة كبيرة من الكفاءة (هارفي،1429، ص37).

كما إنها جعلت الكثير من الناس يقدموا ثمار اعمالهم لأولئك الذين في السلطة ويتنازلوا عن حقوقهم التي حصلوا عليها بشق الانفس، كما إنها خفضت مستويات المعيشة وهذا يعني المجاعة لكثير ممن يكافحون من أجل البقاء على قيد الحياة(HARVEY,P.216).

المطلب الثاني: الليبرالية الجديدة بين النظرية والممارسة

مثلت الليبرالية الجديدة عند هارفي تحولاً في الفكر السياسي والاقتصادي المعاصر اذ حاول كشف تناقضاتها ما بين النظرية والممارسة الواقعية.

فالليبرالية الجديدة حسب منطقها النظري دعمت بقوة الحقوق الفردية وحكم القانون ومنطق السوق المفتوح. وتعتبر هذه الترتيبات جوهرية لضمان حرية الفرد ضمن الإطار القانوني والقضائي، إذ أتاحت هذه الترتيبات حرية الالتزامات التعاقدية بين الافراد في ساحة السوق الاقتصادي، كما يتحتم على الدولة حماية تلك العقود التقاعدية لضمان حقوق الافراد في العمل والاختيار والتعبير، اذ يتحتم على الدولة في ظل استخدام الليبرالية الجديدة استخدام سلطتها وابتكار أنظمة سوق مثل سوق تجاري لمكافحة التلوث البيئي(هارفي،1429، ص109-111).

معنى هذا ان الليبرالية الجديدة مشروع إنساني قائم على الحرية ومرتبطة بالإنسان الحر (فريدمان، 2011، ص23-24).

فمن المؤكد ان الغرض من هذا العرض الفلسفي لليبرالية الجديدة على المستوى النظري يعد الاساس الفلسفي للتمكن من نقدها على مستوى ممارساتها العملية ونتائجها الواقعية على المجتمع.

وهذا وما أكده عندما رأى إن الليبرالية الجديدة التي تبنت فكرة الملكية الفردية والحرية. عملت على تشجيع الاحتكار وكذلك وسيطرة الاقليات الاقتصادية إذ سعت الشركات الاقوى إلى تدمير الشركات الاضعف وإخراجها من السوق. كما شجعت التنافس الغير منضبط. مما ادى هروب بعض الافراد والشركات من دفع التكاليف المترتبة عليهم جراء اعمالهم. وتحديداً هذا ما حدث في قضية التلوث البيئي نتيجة الإنتاج اذ تجنبت بعض الشركات الانتاجية من دفع تكاليف دفن النفايات الضارة دون مقابل. مما أدى إلى تعرض الكثير من العاملين لمخاطر جسدية في مواقع العمل. وبالتالي أثرت سلباً على الصحة العامة مما أدى إلى استنزاف قوة العمل وتجريدها من العاملين الاصحاء (هارفي،1429، ص113-114).

وفي معرض نقده لممارساتها يؤكد ان الليبرالية الجديدة التي دعمت النزعة الفردية ورفعت شعار الحرية وافترضت ان يكون الافراد احراراً لم يسمع لهم بناء مؤسسات جماعية قوية كنقابات العمالية واستبدلتها بجمعيات طوعية ضعيفة كالمؤسسات الخيرية، وهذا ما أدى إلى إضعاف تشكيل أحزاب سياسية قادرة على إجبار الدولة على التدخل في الاسواق الاقتصادية. وبهذا اعتمد الليبراليون الجدد على مؤسسات غير ديمقراطية ولا تخضع للمحاسبة

كبنك الاحتياط الفدرالي أو صندوق النقد الدولي لإدارة الاقتصاد واضعاف دور الدولة في إبداء مهامها لخدمة مصالحهم وترسيخ هيمنتهم (هارفي،1429، ص117-118) .

على ما يبدو ان إظهار تناقضات الليبرالية الجديدة ومن خلال نظريتها مقابل ممارساتها الواقعية اصبحت محل اهتمام وازدراء بعض المفكرين الذين يرون بأنها توسيع لهيمنة عالمية وسعت لتعميق عدم المساواة. وقيدت الحرية وجعلت البشر في أتون الريبة وعدم الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والأسري (دينين،2022، ص197).

وهذا ما أكده هارفي عندما أكد إن سياسات الولايات المتحدة منذ عهد رونالد ريغان أضعفت التنظيمات التقليدية للطبقة العاملة، وزادت معدلات الفقر وانعدام المساواة الاجتماعية، إذ أدى تحرير السوق وتقليص دور الدولة في الحماية الاجتماعية عملياً إلى تفاقم التفاوت وإضعاف استقرار حياة الناس (هارفي،2005، ص280-281)، وعزز هذه النظرة عندما رأى إن الليبرالية الجديدة على مستوى الممارسة الاقتصادية التي تخص العامل زادته سوءاً وعبودية، إذ جهلته ووحشتيه وأحطته أخلاقياً(Harvey,2013,P.2) .

ومن هنا يصل إلى نتيجة إن الليبرالية الجديدة ولدت عنق عالمي وبتحريض نخب المال والاعمال والشركات الامريكية الكبرى، وتحديداً هذا ما حصل في العراق إذ سعت الولايات المتحدة الامريكية إلى فرض نظام بالقوة بحجة تحسين الصالح العام للشعب العراقي وأخذت انواع من التدابير والإجراءات التي وضعها بريمير بافتراض إن الحريات الفردية تصونها حرية السوق وحرية التجارة ملمح أساساً بالتفكير في الليبرالية الجديدة وهو الذي هيمن على موقف الولايات المتحدة في تعاملها مع دول العالم(هارفي،1429، ص20).

المبحث الثاني

الفلسفة الإنسانوية في نقد الليبرالية الجديدة

المطلب الأول: الليبرالية الجديدة وتشييئ الانسان

شكلت قضية تشييئ الإنسان مفصلاً مهماً في نقده لليبرالية الجديدة. اذ بين كيف اسهمت في اعادة صياغة حياة الإنسان حيث اصبحت سلعة تقاس بالمصلحة والربح.

فالتشييئ أو التسليع يعني: تحول العلاقات الإنسانية والوجود الإنساني في ظل النظام الاقتصادي الرأسمالي إلى أشياء جامدة وخاضعة لمنطق التبادل التجاري بالصورة التي يتحول فيها البشر إلى سلع أو بضائع بحيث يخضعون لقوى وأشياء خارجة عن إرادتهم ومن أهم أشكال التشييئ الوجود الإنساني. التشييئ الذاتي ويقصد به العلاقة مع الذات والتشييئ الموضوعي ويقصد به العلاقة مع العالم. والتشييء التذاوتي ويعني به العلاقة مع الاخرين، فقد دخل التشييئ في مجالات الحياة الإنسانية مختلفة لاسيما بعد تفشي الطابع الأداتي(هونيث،2012، ص20-21).

فالمتتبع لما تم طرحه من تصورات فلسفية معاصرة حول كيف عملت النظم السياسية والاقتصادية على تشييئ الوجود الإنساني يرى بأنها طرحت على يد الفلاسفة الماركسيين فجروج لوكاش، يشير ان العلاقات الاجتماعية في ظل الرأسمالية تقاس بوصفها سلعة لها ثمن في السوق، وينظر إلى الإنسان كقوة عمل تقدر بقيمتها المادية وهنا يظهر التشييئ (لوكاش،1982، ص80-81).

وتحت الفكرة نفسها ينظر هارفي لليبرالية الجديدة إنها سلعت كافة مجالات الحياة الإنسانية وان كل شيء أصبح التعامل معه بمبدأ السلعة، وعلى هذا الاساس أصبح السوق هو الموجه الاخلاقي لكل اشكال الفعل الإنساني (هارفي،1429، ص270).

معنى هذا إن الليبرالية الجديدة دمرت العدالة الاجتماعية وأفرغت الديمقراطية من مضمونها (Frac,2019,P.11-12)، كما إنها أعادت إنتاج اللامساواة وجعلت السياسات المالية ابراجماتية. وأضحى العالم يعيش حالة من الذعر (بيكيتي،2012، ص506-507).

على هذا الأساس يطرح أهم اتجاهات تشييئ الإنسان الذي انتجته الليبرالية الجديدة والتي سنبينها حسب الفقرات التالية:

اولاً: تسليع الثقافة والتاريخ والرموز الدينية والطبيعة

حسب هارفي إن الليبرالية الجديدة حولت الثقافة والتاريخ والتراث والطبيعة وحتى الجنس إلى سلع يمكن تسعيرها واستثمارها، فالفنون التقليدية مثل اعمال الابوريجين في استراليا صارت منتجات سياحية والطبيعة تعرض كمناظر جميلة أو علاج استجمامي مقابل رسوم. وحتى الرموز الدينية والاجتماعية سلبت قدسيتها وتفرض عليها رسوم أو حقوقه الملكية. وحتى سلطه العقود تسلعت لتشمل العلاقات الشخصية، فالزواج مثلاً أصبح ينظر إليه كترتيب تعاقدي قصير الأجل بدل ان يكون رباطاً مقدساً، اذ صاحب هذا التوجه تشييئ الإنسان وجعل العلاقات والعواطف

والهوية نفسها منتجات قابلة للشراء والبيع، وكل هذا أصبح نتيجة لهيمنة منطق السوق على الاصالة والارادة والقيم الثقافية والاجتماعية وبالتالي تحولت كل جوانب الحياة إلى سلع قابلة للتداول (هارفي،1942، ص271-272).

وفقا لما سبق يقول كارل بولايني: "إن السماح لآلية السوق ان تكون الموجه الوحيد لقدر البشر وبيئتهم الطبيعية ... سيؤدي إلى خراب المجتمع (بولاني،2009، ص168).

اما هارفي يؤكد إن الليبرالية الجديدة التي تقوم فلسفتها على منطق تراكم رأس المال قدمت نفسها بوصفها قائمة على الحرية والمساواة ليس هذا سوى إطار شكلي من اجل الهيمنة اذ اختزلت الإنسان إلى قوة عمل وقيمة تبادلية تقاس بمعايير الربح وحولت العلاقات الإنسانية إلى عملية تشييئ سواء داخل بنية السوق أو في العلاقات الدولية التي تحكمها المصالح والنفوذ(Harvey,2003,P.137) .

ثانياً: تسليع الحقوق:

إن الليبرالية الجديدة حسب تصوره قدمت نفسها كراعية لحقوق الإنسان والحريات ورفاهية البشر. لكنها في الحقيقة شيئت هذه الحقوق وحولتها إلى سلعة تقاس بالنجاح السياسي والاقتصادي بدلاً من كونها قيمه مستقلة، والاهداف المعلنة مثل رفع مستوى المعيشة وتوفير العمالة ونمو الدخل وتوسيع الانتاج والتجارة التي اقرتها اتفاقية منظمة التجارة العالمية اصبحت معايير لتقييم نجاح النظام. بينما تتحول حرية الإنسان وكراميته إلى ادوات للاستغلال السياسي والاقتصادي واستغلال الموارد العالمية وتنطبق السياسات الاقتصادية والطبقية، فالسلطة تستخدم الحقوق كوسيلة للشييئ والتحكم، وهذا ما جعل الحقوق موضوع نزاع ومساومة بدلاً من كونها حق اصيل (هارفي، 1429، ص286-287).

وأخيراً يخرج بخلاصة: ان الليبرالية الجديدة التي قدمت نفسها كشكل من أشكال النظام الإنساني والتي سعت إلى إنتاج حالة من القبول المسبق على طيف واسع من الجماهير عبر ما يسمى بالحس العام لكي يتبنى الجماهير مواقفها وعملت على اعادة تفسير مشكلات العصر بما يخدم منطق السوق. ما هي إلا عمليات تشييئ الإنسان وتسليعه، اذ أصبح لا ينظر إلى الإنسان كفاعل اجتماعي قادر على مساءلة البنية القائمة بل كفرد معزول تُعاد صياغة وعيه عبر تحيزات ثقافية وقيم مجيشة، مثل الدين أو الوطنية أو الخوف من الاخر بما يحجب التناقضات الحقيقية ويحولها إلى قضايا سطحية، وبهذا يصبح موضوع الوعي ذاته موضوعاً للتسليع والتوجيه (هارفي، 1429، ص69-70).

ومن هنا يمكن القول ان موقف هارفي حول الليبرالية الجديدة بأنها شيئت الإنسان على كافة المستويات والاتجاهات ما هو إلى موقفاً صارماً تشأمياً يحتاج لبعض المراجعة والتأمل فقد قطع الطريق امام مراجعة نفسها وافضاء عليها طابعاً إنسانياً.

المطلب الثاني: المشروع الإنسانوي التحرري من الليبرالية الجديدة

انطلق المشروع الإنسانوي التحرري من الليبرالية الجديدة عند هارفي من كشف حالة السخط والاستياء على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية من الليبرالية الجديدة وفشل المبادرات لصلاحها، فمشروعه الانساني قائم على اعادة الاعتبار للقيم الاخلاقية التي نستمدها من الطبيعة الفعلية للبشر وهذا ما يساعدنا على الازدهار في الحياة (لو،2017، ص9-10).

فالإنسان حسب الليبرالية الجديدة أصبح لا يفهم بكونه كائناً اجتماعياً متأصل في علاقات التضامن الاجتماعي. بل تم اختزاله إلى فرد اقتصادي مجرد ومفرغ من بعده الاجتماعي ووجوده الإنساني(بورديو،2017).

وفقاً لهارفي ان هناك مؤشرات سخط واستياء عالمية داخل الدوائر السياسية الحاكمة ومنظريها من أمثال جيفري ساكس من الليبرالية الجديدة بعد أن شاهدوا أثارها السلبية على المجتمعات، كما ظهرت دعوات ومقترحات لإصلاحها تمثلت بالعودة إلى السياسات النظرية الكينزية أو فرض رقابة صارمة على المضاربات المالية المتهورة، أما في الاوساط الاكاديمية فقد دعوا الى ربط السياسات الاقتصادية بالقيم الإنسانية، فعلى الرغم من كل هذا لم تحقق هذه المبادرات العلاج كونها لم تعالج القواعد الأساسية التي تدعم قوة الليبرالية الجديدة وابرزها تركيز الثروة في ايدي فئات محددة مع انسحاب الدولة والتخلي عن مهامها(هارفي،1429،ص303).

فنتيجة فشل المبادرات التي عالجت ما آلت إليه الليبرالية الجديدة على المجتمع والتي لم تتطرق لبنيتها الرئيس يطرح هارفي مجموعة من الاستراتيجيات ضمن مشروعه الإنسانوي.

فحسب تصوره يجب احتوائها جغرافياً حتى لا تترك أثار مدمرة على انماط الحياة بين الدول، كما يجب مواجهة قوة تحويلها عبر سحب الامتيازات الطبقية واعادتها داخل البنية الاقتصادية والسياسية للدولة، كما ينبغي التحرك خارج الأطر المرجعية التي كرستها الطبقة المهيمنة ولاسيما أخلاقيات السوق والاهم من هذا كله هو الحفاظ على

الاتزان والواقعية والالتزام بالمحددات الزمانية والمكانية التي تحكم كل تجربة تحول سياسي (هارفي،1429، ص304-305).

ومن هنا يمكن القول ان هارفي في استراتيجياته سالفة الذكر يفضل التغيير التدريجي السلمي مع الحفاظ على الاتزان والواقعية ولا يؤمن بالتغير الثوري على غرار بعض الليبرتالين واللاسلطويين المعاصرين امثال **ديفيد غريبر** الذي يؤكد إن كان هناك قاعدة واحدة لكل مقاومة مدنية، فهي أنه لا توجد قواعد راسخة، إذ تؤدي الحركات دورها على أكمل وجهة عندما تكيف نفسها مع ظروفها. وعليه فإن السياق الديمقراطي الامثل يتوقف على طبيعة المجتمع ذاته وخصائصه (غريبر،2014، ص207-208).

على العكس من هارفي الذي أجاب عن تسأله هو: كيف نواجه تراكم الثروة والامتيازات والنزعة الاستهلاكية؟ فأجاب إن المطلوب هو المشاركة في توجيه مسار التغيير عبر إصلاحات حضرية ومدروسة تضمن عدالة أكبر في توزيع الموارد والفرص لان التغيير الحقيقي لا يمكن تحقيقه بشكل جوهري وجذري بل عبر خطوات متراكمة تعيد صياغة المدن بصورة أكثر توازناً وإنصافاً (هارفي،2017، ص31)، ومن أهم هذه الخطوات المتراكمة هي تفعيل سلطة الدولة من اجل تقويض سلطة النخب الرأسمالية وخلق بيئة عمل جيدة لتحقيق حياة كريمة للطبقات الاجتماعية وخلق وظائف عمل بما يناسب الواقع الاجتماعي(HARVEY,P.218-219) .

فانطلاقاً مما سبق يطرح مشروعه الإنسانوي التحرري والذي يهدف إلى اعادة الاعتبار للإنسان الذي وضعته الليبرالية الجديدة داخل منطق السوق.

ينبغي بناء حركة واعية لمناهضة الرأسمالية ويأتي ذلك من خلال إحياء مجالس مجتمعية وتكون ذات سلطة وتتدخل في تخصيص الموازنات وتندمج مع العمال المستبعدين للمطالبة بمساواة أكبر في الدخل والقدرة على الوصول إلى الرعاية الصحية ومخصصات الاسكان، كما تسعى هذه المجالس إلى إعادة بناء الشعور بالمواطنة والعدالة الاجتماعية والبيئية التي حطمتها جماعات المصلحة الليبرالية الجديدة (HARVEY,P.215).

كما يجب تغيير مفهوم العمل من مجرد تعريف ضيق مرتبط بالأشكال الصناعية للعمل إلى نطاق أوسع يتعلق بالإنتاج حياة يومية حضرية. فالذين يجلبون المياه الجارية إلى منازلنا لا يقلون أهمية عن الذين يصنعون الانابيب في المصانع، والذين ينقلون الطعام إلى المدينة بمن فيهم الباعة الجوالين لا يقلون أهمية عمن يزرعونه (HARVEY,P.199).

وكذلك ينبغي مقاومة أخلاقيات السوق بالمقاومة الثقافية ومن ثم السياسية، فالأولى الهدف منها: إثارة مشاعر الاشمئزاز من التغريب- عزل، اقصاء، تهميش، تدهور بيئي- الذي انتجته الليبرالية الجديدة. اما الثانية فتكون بالتركيز على طبيعة الليبرالية الجديدة كونها معادية بعمق للديمقراطية وتدعمها في ذلك الطبيعية الاستبدادية للمحافظين الجدد. كما يجب فضح إن اي تمثيل سياسي في ظل الليبرالية الجديدة مشبوهة ومشوه بسلطة المال (هارفي،1429، ص330).

اما فيما يخص البنية الفلسفية لمشروعه الإنساني التحرري من الليبرالية الجديدة فأوضح عن آلية التعامل مع ما يطلق عليه قوة العمل وفائض القيمة كونها حسب وجهة نظره هي انعكاس لجميع العلاقات الاجتماعية التي تحدث ضمن عملية الانتاج، فهذه العلاقات ليست بالضرورة متناغمة بل ينبغي ان تكون متناقضة فمن هذا التناقض ينشأ الصراع الذي هو الاساس تغيير هيكلي للمجتمعات نحو النمو والازدهار(هارفي،1429،332).

وأخيراً يمكن القول إن هارفي في مشروعه الإنسانوي التحرري رفض القيم التي أنتجتها الليبرالية الجديدة، ولاسيما قيمة الحرية والفردية التي صورتها الولايات المتحدة الأمريكية، بعدَّها قيم كونية كرستها لتحقيق هيمنتها على المستوى السياسي والإقتصادي والأخلاقي.

نتائج البحث

1- يتبين ومن خلال نقد هارفي ان الليبرالية الجديدة لا تمثل مشروعاً اقتصادياً منحازاً فقط. بل مشروعاً سياسياً يسعى الى إعادة توزيع الثروة والسلطة لصالح النخب الاقتصادية مما جعلها نموذج غير عادل في تحقيق المساواة الاجتماعية.
2- كشفت الممارسة العملية لليبرالية الجديدة عن وجود تناقضاً بنيوياً من فلسفتها النظرية القائمة على الحرية الفردية وتحقيق الرفاهية وبين ممارساتها التي تعتمد على تدخل الدولة من أجل حماية مصالح اصحاب رؤوس الاموال والشركات متعددة الجنسيات عابرة القارات.

3- ساهمت الليبرالية الجديدة في اعادة تشكيل الانسان وفق منطق السوق والربح حيث جرى اختزاله الى كيان اقتصادي وتحويل قيمته الى سلع قابلة للتبادل وهذا أدى الى تهميش ابعاده الانسانية والثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.
4- يتضح من خلال نقد هارفي لليبرالية الجديدة بانه يمكن صياغة مشروع انساني تحرري يعلي من شأن العدالة الاجتماعية والتضامن الانساني والخروج من المأزق العالمي التي خلفته الليبرالية الجديدة عبر التركيز على التغيير والاصلاح التدريجي والتراكمي بعيداً عن التغيير الثوري المصاحب للعنف.

المصادر

1. باتلر، إيمون، المدرسة المادية في الاقتصاد، ترجمة: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للتعلم والثقافة، مصر، القاهرة، ط1، ٢٠١٢م.
2. البستاني، باسل، الإنسانية في مواجهة النيوليبرالية، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان - بيروت، ٢٠١٨م، ط1.
3. بورديو، جوهر الليبرالية الجديدة، ترجمة: عبدالعاطي حسين، مقاله ة مجلة حكمة بتاريخ 2017/8/8م، منشورة على الرابط الالكتروني. **https://hekmah.org :**
4. بولايني، كارل، التحول الكبير: الاصول السياسية والاقتصادية لزمننا المعاصر، ترجمة: محمد فاضل، مراجعة: حيدر إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان - بيروت، ٢٠٠٩.
5. بيكيتي، توماس، رأس المال في القرن الواحد والعشرين، ترجمة: وائل جمال وسلمى حسين، دار التنوير للطباعة والنشر، لبنان- بيروت، ٢٠١٢م.
6. تشومسكي، نعوم، الربح فوق الشعب الليبرالية الجديدة والنظام العالمي، ترجمة: مازن الحسيني، دار التنوير للترجمة والطباعة والنشر، فلسطين- رام الله، ط1، ٢٠٠٠م.
7. دينين، باتريك، لماذا فشلت الليبرالية، ترجمة: يعقوب عبد الرحمن، تقديم: جيمس ديفيسون، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٢٢م.
8. السعدي، محمد سعيد، أوهام النيوليبرالية، مؤسسة آند، شبكة المنظمات العربية غير الحكومية، بنيويورك 2022م.
9. غريبر، ديفيد، مشروع الديمقراطية، التاريخ، الأزمة، الحركة، اسامة العوذلي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2014م.
10. فريدمان، ميلتون، الرأسمالية والحرية، ترجمة: عبد الفتاح شحاتة، مراجعة: حسين التلاوي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠١١.
11. لو، ستين، الإنسانوية: مقدمة قصيرة جداً، ترجمة: ضياء ورّا، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي، مصر، ط1، 2017م.
12. لوكاش، جورج، التاريخ والوعي الطبقي، ترجمة: حنا الشاعر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط2، 1982م.
13. هارفي، ديفيد، حالة ما بعد الحداثة: البحث في أصول التغيير الثقافي، ترجمة: محمد شيا، مركز دراسات الوحدة العربية لبنان- بيروت، ط1، 2005م.
14. هارفي، ديفيد، حالة ما بعد الحداثة: عين في اصول التغيير الثقافي، ترجمة: محمد شيا، مراجعة: ناجي نصر، المنظمة العربية للتربية، بيروت- لبنان، ط1، ٢٠٠٥م.
15. هارفي، ديفيد، الليبرالية الجديدة: موجز تاريخي، العبيكان، المملكة العربية السعودية ـ، ط1، ١٤٢٩ه.
16. هارفي، ديفيد، مدن متمردة من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر، ترجمة: لبنى صبري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان – بيروت، ط1، 2017م.
17. هونيث، أكسل، التشيؤ: دراسة في نظرية الاعتراف، ترجمة وتقديم: كمال بومينر، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، ٢٠١٢م.
18. Cas Tree, Noel, Charnock Greig, David Harvey Aritical Introduction to His Thought First published by Rout ledge, New york, 2023.
19. Frac, Nancy, The Old Is Dying and The New cannot Be Born, first published, 2019.
20. HARVEY DAVID, SOCIAL JUSTICE AND THE CITY, Oxford, UK, 1988.
21. HARVEY, DAVID, A COMPANION TO MARK'S CAPITAL, UK, 2013.

22. Harvey, David, Companion to Marx's Gap capital, published by Verso, London, 2013.
23. HARVEY, DAVID, THE ENIGMA OF CAPITAL, OXFORD, UNIVERSITY PRESS, New York.
24. Harvey, David, The New Imperialism, OXFORD UNIVERITY PRESS, New York, 2003.
25. Hayek f. A The constitution of Liberty the University of Chicago Press, 1999, p, 90.
26. STeger, Manfred, Roy Ravi K, NEOLIBERALISM A very short Introduction, OXFORD, UNIVERSITY PRESS, New York, 2010.